بناء الإنسان (دراسة تحليلية من منظور ابن رشد)

أ. د. صباح حمودي المعيني*

المستخلص

موضوع بحثنا هو: **بناء الإنسان** دراسة تحليلية من منظور ابن رشد، أذ يُعد الإنسان عنده من الكائنات الحية والمهمة في الطبيعة بحيث تتحكم فيه قوى وتفاعلات عدة، حتى يخضع من خلالها للضرورة الطبيعية كونه أرقى الكائنات فيها، فهو الذي يشعر ويرغب ويريد ويرفض الخ ...، فضلاً الى إمتلاكه القوة الناطقة، فمنذ أن وعى على هذا العالم بدأ يتسأل عن نفسه ووجوده وقيمته ... فجاءت الفلسفة بمنطقها ونظريتها للمعرفة وفلسفتها للأخلاق والتربية لتضع هذه الأسئلة المركزية في عقله بأطار البحث والفحص المنهجي، هذه الفلسفة بنظامها التأملي أخذت تنظر الى **(الإنسان)** على أنه مركز هذا الكون، ونتيجة لهذا جعلت غايتها وهدفها ووسيلتها هي دراستهُ نظرياً وعملياً حتى تبلغ سعادته وكماله وخيرته وعدالته، لأن الإنسان يُعد المنظور إليه من **(الأخلاق والتربية)** والذي تتحقق على يديه السعادة والفضيلة له ولمجتمعه ولنظامه السياسي.

وتأسيساً لهذا وجدنا أن الفلاسفة قد أجتهدوا بالحديث عن هذا الموضوع **(بناء الإنسان)** بدءاً من الفلاسفة اليونان ومروراً بالفلاسفة المسلمين، وبما أن **ابن رشد** موضوع بحثنا وجدنا أن فلسفته – فلسفة نسفية مُحكمة تؤدي فيها المقدمات في كل علم الى نتائج لتشمل الفلسفة بكل محاورها، بمعنى أنه أيضاً أخذ يعنى **(ببناء الانسان)** وأعدادهُ أعداداً دقيقاً يأخذ بنظر الإعتبار حاجاته القيمة وميوله ونزعاته من الطفولة حتى مماته، ويكون ذلك من خلال محورين أساسيين وهما **(الأخلاق) و (التربية)**، لإن بناء الإنسان لا يكون إلا من خلال أتباعه برنامجاً أخلاقياً وتربوياً خاصاً، لإنه أس المجتمع وأساسه، كل هذا سوف نفصلهُ في ثنايا البحث ، فضلاً الى أهم النتائج التي توصلنا إليها.

Abstract

The subject of our research is: The **Building the human** being, an analytical study from the perspective of lbn Rushd is considered to be a living and important being in nature so that he is controlled by forces and interactions, of his number until he submits through them to the natural necessity being the finest beings in it he began to inquire about himself, his existence, and his values.

* قسم الفلسفة ، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية.

Philosophy with its logic its view of knowledge and its philosophy of ethics and education came to put these central questions in his mind with the framework of research and systematic examination. Practically until his capabilities perfection goodness and justice reach him because the human being is considered to be seen from **(ethics and education)**, and by his hands happiness and virtue have been a achieved for him, his society, and his political system.

As a result of this, we found that philosophers have endeavored to talk about this subject **(the construction of man)**, starting with the Greek philosophers, and passing through the Muslim philosopher. He also took the meaning of (building the human being) and preparing him for a precise preparation that takes into account his valuable needs, tendencies and tendencies from childhood until his death, the foundation of society and all This we will separate in the folds of the research, as well as the most important results that we reached.

المقدمة

يعُد **(الإنسان)** من الكائنات الحية والمهمة في الطبيعة، إذ تتحكم فيه قوى وتفاعلات عدة، بحيث يخضع من خلالها للضرورة الطبيعية كونه أرقى الكائنات فيها، فهو الذي يشعر ويرغب ويريد ويرفض ويقبل ويفكر ويتأمل ويعمل وينتج وينسخ علاقات شغل وصراع، وعلاقات تعاون وتواصل مع الآخرين، فضلاً الى أمتلاكة القوة الناطقة، لذلك منذ أن وعى في هذا العالم بدأ يتساءل عن نفسه ووجوده وقيمته ... فجاءت الفلسفة بمنطقها ونظريتها للمعرفة وفلسفتها للأخلاق والتربية لتضع هذه الأسئلة المركزية في عقله بإطار البحث والفحص المنهجي.

هذه الفلسفة بنظامها الكلي التأملي أخذت تنظر الى **(الإنسان)** على أنه مركز هذا الكون، ونتيجة لهذا جعلت غايتها وهدفها ووسيلتها هي دراسته نظرياً وعملياً حتى تبلغ به سعادته وكمالهُ وخيرته وعدالته، وعند تصفح تاريخ الفلسفة نجد أن الفلاسفة عبر هذا التاريخ بمختلف مشاربهم سواء كانوا غربيين أم مسلمين قد تفلسفوا ومنهجوا فلسفتهم النظرية والعملية للإنسان وبناءهُ وإعدادهُ إعداداً يليق به بحيث جعلوه مناط الخطاب الفكري وهدفه وغايته، لإن يكون سيد هذه الطبيعة، على إعتبار أن **الإنسان** يُعد المنظور إليه من **(الأخلاق والتربية)** والذي تتحقق على يديه السعادة والفضيلة له ولمجتمعة ولنظامة السياسي، وكأن هاجسهم جميعاً طبيعة هذا الإنسان وكيفية تهذيب هذه الطبيعة وتشذيبها من النوازع الشريرة والغير فاضلة، إذ وجدنا أن الفلاسفة قد أجتهدوا بالحديث عن هذا الموضوع **(بناء الإنسان)**، فكانت المدرسة السوفسطائية أول مدرسة فلسفية يونانية أعطت للإنسان المكانة التي يستحقها، إذ كان زعيمهم بروتاغورس (ت٤١٠ق.م)،

قد عرّف الإنسان ((بأنه مقياس الإشياء جميعاً)) وهو أساس كل معرفة، وبهذا جعل هذا الفيلسوف الإنسان هو الحاكم على وجود الإشياء من عدمها وليس العكس، وأنتهاءاً بأرسطو (ت٣٢٢ ق.م) الذي حدد ماهية الإنسان وكينونته بقوله ((إن الإنسان حيوان ناطق))، وهو أفضل الحيوانات إذا تم إعدادهُ وتعليمهُ وتدريبهُ جيداً، ولكنه أسوئها إذا أغفل أمرهُ وأهمل شأنهُ ، فهو على أستعداد لإن يضحي بنفسه في الإزمات الكبرى، حتى وصل هذا التعريف الى الفلسفة العربية الإسلامية وفلاسفتها بدءاً من الكندي (ت٢٥٢هـ/٨٦٦م)، وانتهاءاً بابن خلدون (٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، وبما إن ابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م)، موضوع البحث، نجد أن فلسفته ما هي إلا فلسفة نسقية مُحكمة تؤدي فيها المقدمات في كل علم الى نتائج لتشمل الفلسفة بكل محاورها، هذا يعني إن فلسفته أخذت تعني أيضاً **(ببناء الإنسان)** وإعدادهُ إعداداً دقيقاً يأخذ بنظر الإعتبار حاجاته القيمة وميولهُ ونزعاته منذ الطفولة الى مماته، ليس فقط أخلاقياً وتربوياً، بل سياسياً وأجتماعياً أيضاً، فكانت إنعكاساً لما يجري في العصر ومتجاوزه عليه بنظرة فلسفية مستقبلية ثاقبة تنطلق من الحاضر المعاش الى المستقبل الموعود، ومن حالة التوحش الى حالة التأنس، ومن حالة العزلة الى حالة الإجتماع، ومن حالة البدائية الى حالة المدنية، ومن حالة اللاعقلانية الى حالة العقلانية والتفلسف، ومن المحسوس الى المعقول ، ومن الفوضى الى النظام الفلسفي المثالي المُحكم.

وبناءاً على هذا يرى ابن رشد أن (قيام المتجمع الفاضل ، والدولة المثلى) لا يكونان إلا من خلال أتباع برنامج تربوي خاص لبناء الإنسان، لإنه هو أس المجتمع وأساسهُ ، هذا البرنامج يكون على وفق نظام تعليمي وتربوي يناسب طبيعة البيئة الإجتماعية القائمة والعصر الذي يعيش فيه ، حتى يتحقق الهدف المنشود من هذه التربية الذي يؤدي بالنتيجة الى قيام مجتمع متكامل، ولهذا نجدّهُ قد أودع فلسفته في بناء الإنسان تربوياً، ففي كتابه (تلخص السياسة)، هو الوحيد الذي يتحدث فيه عن هذا الموضوع بالتفصيل من خلال ما يطرحه من برنامج متكامل لهذا الإنسان، بحيث يمثل جميع نواحي حياته الأخلاقية والتربوية والسياسية والإجتماعية.

إذاً وتأسيساً لما تقدم، فقد ركزنا في بحثنا هذا على محورين أساسيين وهما : **(الأخلاق)** و**(التربية)**، ولكون هذين المفهومين متلازمين في الممارسة والسلوك، فقد قمنا بدراستهما دراسة معمقة، لإن الأول يبغي في خطابه مواجهة الإنسان الفرد دون الجماعة بخلاف علم السياسة الذي هو خطاب للمجتمع ككل وللدولة ولنظام الحكم، إما الثانية فتدرس الفلسفة التربوية لهذا الإنسان وكيف يبنى على وفق برنامج تربوي دقيق من كل النواحي الجسمية والنفسية والعقلية والإجتماعية وغيرها، فضلاً عن الخاتمة مع أهم الإستنتاجات التي توصلنا إليها.

المحور الأول – الأخلاق :

تشكل **(الأخلاق)** عند ابن رشد الجانب النظري من الفلسفة العملية، مثلما ذهب الى ذلك من قبل الفيلسوف أرسطو(ت٣٢٢ق.م)، على أعتبار أن علم الأخلاق عنده تعني سياسة الفرد نحو نفسه[١]، ولهذا نجد إن المقدمات الكبرى التي بنى عليها الأخلاق هي الكمالات الإنسانية، هذه الكمالات هي أربعة أقسام : (الفضائل النظرية، الفضائل الفكرية، الفضائل العملية الخلقية، والأفعال الإرادية)[٢]، هذه الفضائل جميعها توجد من أجل (الفضيلة النظرية) وتكون بمثابة خادمة لها، كونها الغاية القصوى التي من أجلها توجد بقية الفضائل، ومن هنا يتبين لدينا أن ابن رشد يريد أن يكون الإنسان أخلاقياً من خلال فهَّمة للأسس النظرية لهذا العلم، ومن ثم ممارتسها عملياً، وهنا يعتقد ابن رشد أن الإنسان الفرد لا يستطيع أن يبلغ هذه الكمالات التي ذكرت إلا بمعونة أقرانه من بني جنسه، لإن بلوغها بمفردهِ يُعد أمراً عسيراً ومستحيلاً، ولهذا أعتبر الإنسان كائناً مدنياً بطبعه[٣]، هذا يعني أن **(علم الأخلاق)** عندهُ مرتبط أرتباطاً كلياً (بالعلم السياسي المدني)، وهذا يتضح من خلال تعريفه للسياسة على " أنها الأفعال التي يقوم بها الإنسان بالإرادة التي مبدأها الوجود الإنساني، لإن العلم السياسي العملي غايته العمل أو السلوك (الفعل)"[٤]، علماً أن ربط الأخلاق في بناء الإنسان عندهُ يكون بالفضائل الإنسانية التي تتصل بدورها بقوى النفس[٥]، لإن هذه الفضائل بحسب رأيه تغرس في الإنسان عن طريق التربية والمران والتدريب، فمنها ما يغرس عن طريق التعليم بالإقناع والبرهنة على صحتها، ومنها ما يغرس بطرق الإكراه والتوبيخ، هذه الطريقة الأخيرة لا تقوم إلا مع الإشخاص غير الإسوياء الذين لا يأتون الى ممارسة الفضائل بسهولة ويسر[٦].

(١) طاليس ، أرسطو : الأخلاق ، ترجمة أسحاق بن حنين ، حققه وقدمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٩ ، ص٥٣ ويقارن : سباين ، جورج ، تطور الفكر السياسي ، ج١، ترجمة حسن جلال العروسي ، مصر ١٩٥٤، ص١٢.

(٢) أبن رشد ، أبو الوليد : تلخيص السياسية ، هو (تعليم على كتاب الجمهورية لأفلاطون)، ط٢، نقلة الى العربية د. حسن مجيد العبيدي وفاطمة الذهبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٨، ص٦٧.

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

(٥) ينظر : أبن رشد ، أبو الوليد ، كتاب النفس ، نشرة الهند ، ١٩٤٧، ص١٠.

(٦) أبن رشد ، أبو الوليد : تلخيص السياسية ، ص٧٠.

هذا يعني أن ابن رشد هنا قد ركز على **بناء الإنسان**، من خلال الإعتماد على **(الإرادة)**[*] التي هي محور علمي (الأخلاق والسياسة)، فهو يريد بناءه أخلاقياً، لإن أختلاف طبائع البشر وعاداتهم يجعلهم يتجهون نحو فضائل بعينها دون أخرى، فمنهم من يميل الى فضيلة (التأمل الفكري الخالص)، والبعض من يميل الى فضيلة (العمل والممارسة المهنية)، وآخرون من يميل الى فضيلة (الأفعال الإرادية)، فالذي يريدهُ ابن رشد من ذلك هو أن يعلمنا إن هذه الإختلافات في الفضائل تعود لقوى النفس الثلاثة (العاقلة ، الغضبية ، الشهوية)[١]، علماً أن هذه القوى قد ذكرها من قبل كلاً من أفلاطون (ت٣٤٧ق.م)، والفارابي (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م).

نتيجة لذلك أخذ ابن رشد يشير الى مسألة ذات أهمية كبرى في **(بناء الإنسان)** إلا وهي علاقة هذا الإنسان أخلاقياً بالتربية والتعليم، نافياً أن يكون الإنسان مثلاً طبيباً بالفطرة أو محارباً بالفطرة أو فيلسوفاً بالفطرة، لإن هذا لا يكون إلا من خلال أتباع برنامجاً تربوياً يعُد لهُ كي يبنى بناءاً سليماً[٢]، فالذي يريد أن يقولهُ لنا هنا أنه يوجد أكثر من إنسان يعمل بأكثر من مهنة أو حرفة، هذا معناه أنه يعضد الأكمل لبلوغ كماله الخاص به، والأنقص كمالاً يتبع الأكمل كوسيلة لتهيئة كمالهُ، ويضرب هنا مثالاً إلا وهو (فن الفروسية وصناعة اللجام)، فإنهما يعضدان بعضهما بعضاً ويعملان لغرض مشترك واحد[٣]، هذا يعني إن ابن رشد يرى الأخلاق والعادات والشيم الإنسانية أنما هي مكتسبة عن طريق العادة (= التدريب) والتعليم، لإن علم الأخلاق – علم سلوك مبدأه الإرادة والإختيار، ولهذا نلاحظه يشدد على هذه المسألة كثيراً ويربطها بإبداع

(*) **(الإرادة)** : شعور داخلي ورغبة ذاتية تختلف من إنسان الى آخر، وكيفية أتخاذ قراره من تلقاء نفسه حين يعزم على فعل شيئ ما، فمن الأشخاص من يستطيع تحقيقها ومنهم من لا يستطيع ذلك كلاً بحسب القوة الداخلية التي يتمتع بها صاحب العزم ، أذن هي أحساس يشعر بها القوي بحيث تُعبر أفعاله عنها ، حتى عرفها بعض الفلاسفة على أنها شوق أكيد لتحقيق ما عزم الإنسان على فعله وعقد النفس على تحقيقة ، ويمكن عدها مبدأ طبيعي روحاني، لإن (الطبيعة والروح) أمران متكاملان، هذا يعني أن الشيئ الطبيعي يسبق الأمر الروحاني ، لإن الإرادة تنبع من ذات الشخص وتحدد نتائجها قوة الإنسان الداخلية في أتيان هذا الأمر من عدمه ، لمزيد من التفاصيل يراجع : الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص٣٨ وما بعدها.

(١) أبن رشد، أبو الوليد : تلخيص السياسة، ص٦٨، للتفصيلات يراجع : أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خياز، ط٣، القاهرة ١٩٢٨، وكذلك : الفارابي، أبو نصر، تحصل السعادة ، حيدر آباد ، نشرة الهند، ١٣٤٥هـ .

(٢) أبن رشد : المصدر نفسه ، ص٦٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٠ ، ويقارن : فخري ماجد ، الأخلاق عند أبن رشد ، الجزائر ١٩٨٥، ص٣٠١.

الإنسان العقلي للعمل الذي يجيده بالكلية والكمال، لاسيما وأن الفضائل الإنسانية تسعى الى أكتمال الحياة في المجتمع من خلال أفراده.

أذ أن قوى النفس الثلاثة التي تحدث عنها ابن رشد، إنما يجعل فيها (القوة العاقلة) مناط المسؤولية الأولى لبناء الإنسان، لإن الإنسان عنده يتميز عن بقية الموجودات بهذه القوة، فضلاً الى أنه يسيطر على بقية قوى النفس الأخرى من غضبية وشهوية، عندها يتحلى بالفضائل الإنسانية، لإن هذه القوى لها ما يقابلها عند الإنسان في سلوكه وأعماله، فإن كانت هناك فضيلة للقوة الشهوية فهي (العفة)، وأن كانت هناك فضيلة للقوة الغضبية فهي (الشجاعة)، وأن كانت هناك فضيلة للقوة العاقلة فهي (الحكمة والتأمل)، فإذا ما توافقت هذه القوى عند الإنسان بني بناءاً أخلاقياً متكاملاً بحيث يسعى نحو الفضيلة بإرادته واختياره، وأن تحقيق هذا يكمن من خلال أتباع الإنسان أحسن الأفعال المؤهلة له بطبعه بعد التحلي بالسلوك القويم والإبتعاد عن الرذائل والأفعال القبيحة[١]، **هنا سؤال يطرح نفسه إلا وهو: كيف يتصور ابن رشد بناء هذه الأخلاق عند الإنسان؟** وللإجابة أقول أن ابن رشد يذهب الى أن يجعل هناك تساوقاً على نظرته الفلسفية للأخلاق من خلال أعتماد مبدأ غرس هذه الفضائل في نفوس ابناء المجتمع والدولة، كما يغرس النبات الصالح لخدمة الإنسان، لإن غرس الفضائل يولد معه إزالة الشرور والآثام من نفوس الإشرار مشبهاً ذلك بحالة المرض الذي يصيب جسد الإنسان بشكل عارض، وكيف يتخلص منه كي ينمو جسدهُ بشكل صحيح، وهنا يضع ابن رشد **طريقين** في غرس هذه الفضائل لدى الإنسان ويعدها ضرورية لبناءه وبناء المجتمع والدولة، **فالطريقة الأولى:** تكون عن طريق الإقناع من خلال الأقاويل والرموز الخطابية التعليمية التي تليق بعامة الناس من الجمهور دون الحكماء والفلاسفة، لإن طرق غرس الفضائل لدى الحكماء والفلاسفة تتبع فيها طرائق البرهان والحكمة الخالصة، هذه الطريقة بحسب رأيه تكون سهلة وميسورة إذا نشأ الإنسان منذ نعومة أظافره على حب الفضيلة، والخير، وكره الشر والرذيلة، ونبذ التحاسد والتباغض بين الناس، فضلاً الى الإهتمام بحرفة واحد في عمله[٢]، هذا معناه أن ابن رشد يشدد منذ البداية على مسألة عمر الإنسان ونموه النفسي والعقلي، وأثر الأخلاق فيه منذ الصغر الى الكبر، لإن ذلك يوفر للإنسان السير نحو طريق السعادة.

أما **الطريقة الثانية** : هي غرس الفضائل لدى الإنسان **غير** الفاضل الذي **لا** يأتي الى الفضيلة بسهولة ويسر، وبحسب رأي ابن رشد يكون ذلك من خلال الإكراه والقسر، ويمكن أيضاً أستخدام العقاب الجسدي، لاسيما مع الخصوم والأعداء كونهم متلهفون وراء الرذائل، هذا من جهة، ومن

(١) أبن رشد ، أبو الوليد : تلخيص السياسة ، ص٧١.

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٤ – ٧٥.

أخرى بما أن ابن رشد فيلسوف مسلم فقهياً عارف بأمور دينه، يرى أن وجود الشريعة ضروري لوجود الفضائل الإنسانية التي أمرت بها، والرذائل التي نهت عنها، لإن من شروط وجود الفضائل عنده هي الإرادة التي تقوم على العادة والتمرين، فالعادة لو كانت قوية في فعلها لكانت الفضائل أكثر قوة وتأثيراً في النفوس من خلال أتباع الخير والسلوك النافع لدى البشر، هذه الفضائل لاتتم عندهُ إلا بمعرفة الله سبحانه وتعالى، فضلاً الى معرفة العبادات والأعمال الصالحة التي تكون بها النفوس فاضلة[١]، علماً أن ابن رشد هنا يشيد بالفضائل العقلية النظرية التأملية لدى الإنسان، فهو يريد بناءه على وفق فلسفته ، فضلاً الى أنه لا ينسى دور الفضائل العملية والصناعات والمهن الشريفة في بناء هذا الإنسان نحو الكمال والسعادة، هذا من جانب، ومن آخر أخذ يربّط الأخلاق بموضوع (**الخير والشر**) فيّ الإنسان وكيف يحافظ هذا الإنسان على الخير ونبذ الشر، إذا ما علمنا أنه يؤكد أن هذا الإنسان يكتسب أخلاقه في زمانه ومكانه من خلال الدين والأعراف والتقاليد السائدة في مجتمعه، وهنا يناقش ابن رشد في مسألة الخير والشر موضوع (**الحرية الإنسانية**)، إذ يطرح رأياً فلسفياً فيها وهو أن الإنسان ليس حراً ولا مجبراً مطلقاً، لإن مسألة (القضاء والقدر) تُعد من أصعب المسائل الفلسفية، وذلك بسبب التعارض القائم بين أدلة النص الديني وبين أدلة العقل الفلسفي[٢]، إذ أستند هنا الى النصوص الدينية، فضلاً الى نصوص فلسفية لبيان موقفه من هذه الإشكالية، مؤكداً أن هناك آيات قرآنية تجمع بين (الحرية) و(الجبرية) كقوله تعالى: ((أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[٣]، أو كقوله تعالى ((مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ))[٤]، هذه النصوص القرآنية وغيرها الكثير قد ظهر حولها خلاف من قبل فرقاء المسلمين، فمنهم من ذهب الى تأكيد حرية الإنسان في سلوكه

(١) أبن رشد ، أبو الوليد : تلخيص السياسة ، ص٧٥ إذا نظرنا هنا الى الدين الإسلامي الذي هو خاتمة الأديان السماوية وما يدعوا إليه أبن رشد من تعاليم أخلاقية لتنظيم حياة الإنسان وآخرته ، فهو هنا كثيراً ما يستعين بالفارابي ومؤلفاته ، ولاسيما كتاب (تحصيل السعادة) ، هذا يعني أن الفارابي حاضراً بقوة وبشكل واضح في أبن رشد سواء في تلخيص الخطابة أو السفسطة أو في هذا الكتاب الذي نحن بصدده، للتفصيلات يقارن : الفارابي، أبو نصر، تحصل السعادة ، ص٤٠ – ٤١ وكذلك : العبيدي، حسن مجيد، ((حضور الفارابي في الخطاب السياسي لأبن رشد))، مجلة الدراسات السياسية والدولية ، العدد (٢) ، الجامعة المستنصرية ، كلية العلوم السياسية ، بغداد ٢٠٠١، ص٤٥.

(٢) ينظر : أبن رشد ، أبو الوليد ، مناهج الأدلة في عقائد الملة ، بيروت ١٩٧٨، ص١٢٠ويقارن : الشمالي، عبده ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ، دار صادر ، ط٥ ، بيروت ١٩٧٩، ص٦٦٠ ، علماً أن الفلاسفة وعلماء الدين وعلم الكلام قد ناقشوا هذا الموضوع وبشكل مستفيض من قبل، ولا أريد الغوص فيه ألتزاماً منا بخطة البحث والتركيز على رأي أبن رشد بهذا الموضوع ، للتفصيلات يراجع : عمارة ، محمد ، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ، ط١، بيروت ١٩٧٢ وأيضاً : لطيف ، سامي نصر، الحرية المسؤولية في الفكر الفلسفي الإسلامي ، القاهرة ١٩٧٧.

(٣) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية ١٦٥.

(٤) القرآن الكريم : سورة النساء ، الآية ٧٩.

وهم فرقة (المعتزلة)، ومنهم من سلب الإنسان الحرية في أفعاله وهم (الجبرية)، وآخرون من توسط بين هذا وذاك وهم (الأشعرية) القائلون إن للإنسان كسباً، وأن المكتسب به والمكتسب مخلوقات لله تعالى، علماً أن ابن رشد هنا لم يُسلم بهذه الآراء والأقوال، بل ذهب الى القول أن الله قد أوجد لنا قدرة بها نكتسب أفعالنا، ولكن هذه الأفعال لا تتم إلا بالإسباب التي سخرها الله تعالى، معنى هذا أن العقل الذي نقوم به له علتان، **الأولى:** (العلة الفاعلة)، وهذه متحققة في حرية الإنسان، **والثانية:** (علة المؤثرات الخارجية)، وهذه ليست لنا قدرة عليها، كونها مشروطة بالإرادة، وكل ما يحيط الإنسان من أحوال موجودة في الطبيعة[١] ، وهذا دليل على ذكر القرآن الكريم، إن الإنسان مُسير من جهة ومُخير من جهة أخرى، ويفهم من هذا أن ابن رشد يرى إن الإنسان يجب أن يعلم أن إرادته حرة، ولكن هذه الحرية مرتبطة **بأمرين أساسيين وهما:** التركيب الداخلي له، والأحوال الخارجية المحيطة به، هذا معناه إنه لا يمكن فهم حرية الإرادة الإنسانية إلا في ضوء محور **(الأخلاق)**، لإنه لا أخلاق بلا إرادة. أما طبيعة (الخير والشر) وأستناداً الى ما أوضحناه عن الحرية الإنسانية، أقول إن **الإنسان** عند ابن رشد مركب من (نفس وجسم)[٢]، هذا يعني أن قوى الإنسان عنده منها ما هو خاص به، ومنها ما هو مشترك مع غيره، والشيء الذي يشترك فيه هذا الإنسان مع غيره من الموجودات التي فيها حياة ونفس هي وجود ما يسمى **(بالنفس الغاذية)**[*]، ولهذا يرى إن خير الإنسان وسعادته لا تحقق إلا بإدراك خير وسعادة وقوته الناطقة، لإن السعادة لا يمكن أن توجد إلا من خلال العقل والإرادة الفاعلة، إذا ما علمنا أن الإنسان يمتلك القدرة على أداء العقل والتمييز بين ما هو جميل وقبيح وبين ما هو خير وشرير، حتى لا يقال أنه من دون العقل[٣]، هذا يعني أن ابن رشد قد مال الى ربط الخير والشر (بالعقل

(١) أبن رشد ، أبو الوليد : مناهج الأدلة ، ص١٢١ – ١٢٣ وكذلك : الشمالي ، عبده ، دراسات في تاريخ الفلسفة الإسلامية وآثار رجالها ، ص٦٦١.

(٢) ينظر : أبن رشد ، أبو الوليد : تهافت التهافت ، تحقيق موريس بويج ، بيروت ١٩٤٨ ، ص٢٩٨ وكذلك كتابه : النفس ، ص١٠.

(*) **(النفس الغاذية)** : تعددت معاني النفس وأختلف الكثير من الباحثين فيها بسبب كثرة مرادفاتها ، فقصد البعض بالنفس الروح أو النسيم أو القلب، والبعض الآخر أنكر النفس جملةً وتفصيلاً، وقال لا أعرف إلا ما أشاهده بحواسي، ولهذا فأن أبن رشد يعترف بأن مشكلة النفس من أعقد المشكلات الفلسفية على الحل بسبب الأبهام الذي يكتنفها أذ يقول " فالكلام في أمر النفس غامض جداً وإنما أختص الله تعالى به من الناس العلماء الراسخين في العلم " ، لذلك قال سبحانه وتعالى مجيباً في هذه المسألة الجمهور بأن هذا الطور من السؤال ليس هو من أطوارهم كما في قوله تعالى ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)) ، هذا يعني أن أبن رشد يؤيد قول الفلاسفة السابقين عليه من أن النفوس الإنسانية يستحيل عليها العدم بعد وجودها ولا يتصور فناؤها ، للتفصيلات يراجع : أبن رشد تهافت التهافت، ترجمة سليمان دنيا ، دار المعارف ، ط٣، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٨٣٣-٨٣٤ يقارن : بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج٢، ط٢ ، منشورات ذوي القربى ، قم ١٤٢٩، ص٥٠٦ وأيضاً : الحفني، عبد المنعم ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، ص٨٩٠ وما بعدها .

(٣) ينظر: أبن رشد ، أبو الوليد ، تلخيص السياسة ، ص١٥٣ وكذلك كتابة : النفس ، ص٦٤.

النظري وبالتأمل الفلسفي)، أذ خص الخير بالسعادة العقلية الخالصة كونها السعادة الحقيقية، وهي الخير بذاته، لا السعادة التي تأتي عن طريق الغنى والمال أو عن طريق السمعة الحسنة والشرف، ولا عن طريق الصحة الجسمية، ولا عن طريق أمتلاك السلطة الحاكمة، فهذه السعادات بنظره وبنظر عامة الناس هي سعادات زائلة ومتغيرة لا محالة[١]، وبهذا يصبح الخير عنده في صفات هو أن يكون الشيء مختاراً من أجل ذاته لا من أجل غيره ، وأن يكون هذا الشيء يتشوق إليه الكل، ويختاره ذوي الفضل والفطنة[٢]، هذا المعنى للخير يقابله معنى الشر الذي هو الفعل الذي كلما أزاد الإنسان منه لحقته المذمة أو الهون، مثل الإساءة الى الأصدقاء.

نتيجة لهذا وجدنا أن ابن رشد يقف أمام مسألة ميتافيزيقية حول (الخير والشر)، وهي هل مصدرهما هو الله ؟ فيجيب قائلاً " أن الله هو الخير المطلق ولا يُعقل الشر في أي وقت ، كما أنه ليس سبباً للشر " [٣] ، وهذا خلاف لما يذهب إليه المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم، لإنهم يعتبرون أن الله مصدر (الخير والشر) معاً، علماً أن فكرة الله عن الشر بحسب رأي ابن رشد تختلف فلسفياً عن هؤلاء، ولهذا يقول " إن الله خالق الشر، ولكن ليس كما يعتقد الإنسان في عقله، بل أن الله يخلق الشر على أنه خير، وأن وجود الشر نوع من العدل الإلهي، لإنه تعالى تختلف فكرته عن الشر بما هي فكرتنا عنه " [٤]، إما في الإنسان فيبين أن (الخير والشر) طبيعي فيه، بمعنى أن الله خلق الناس وفي طباعهم أستعداد للخير والشر، وذلك لإختلاف طبائعهم [٥]، يفهم من هذا أن (الخير والشر) عنده موجودان، فالشر يمكن أن يصبح خيراً من خلال أشتياق الإنسان الى ذلك الخير، وهذا لا يكون إلا من خلال أفعاله الحسنة وتربيته الفاضلة، مثلما النار بإمكاننا أستخدامها للضرر وللنفع في الوقت نفسه.

المحور الثاني – التربية :

يحاول ابن رشد في هذا المحور أيضاً يضع برنامجاً تربوياً خاصاً **(لبناء الإنسان)** ، هذا البرنامج يحاول من خلاله أن يمارسه أولاً على (الطفل) ويستمر معه حتى بلوغه سن الرشد، والتركيز هنا يكون على النضج النفسي والعقلي والجسمي لديه ، ولكي يتم هذا لابد من وضع

(١) ينظر: أبن رشد ، المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

(٢) ينظر: أبن رشد ، أبو الوليد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٩، ص٥٦.

(٣) ينظر: أبن رشد ، مناهج الأدلة ، ص١٣٠ ويقارن : الشمالي ، عبده ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ، ص٦٦١.

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) ينظر : أبن رشد ، مناهج الأدلة ، ص١٣١.

أنظمة وقوانين للمعرفة العلمية والإنسانية، هدفها تربية هذا الجيل حتى يكونوا في مستويات عالية من التربية ولأداء وظائفهم فيما بعد على أكمل وجه في المجتمع .

إذ تبدأ تربية هذا الجيل عندهُ من دون تميز لا في اللون أو المذهب أو العَّرق، ويكون هذا من خلال قص عليهم القصص والحكايات **الصادقة** الجميلة الهادفة التي تثبت في نفوسهم الفضيلة والشجاعة، وتبعد عنهم الخوف والحزن، ويكون هذا بمصاحبة **(الموسيقى والرياضة)** معاً– **فبالأولى:** يتم تهذيب النفس وتمكينها من أكتساب الفضائل الإنسانية ولاسيما الخلقية، إما **الثانية:** فيتم بها أكتساب الفضيلة الصحيحة للجسم(١).

علماً أن هذه القصص والحكايات يجب أن **لا** تكون كاذبة ووهمية، لأنها تسبب لهم ضرراً كبيراً (كالخوف والحزن ....) الخ ، لإنهم سريعوا التقبل والتأثير وبخاصة في هذا السن، وهذه الحكايات سوف تكبر معهم، ولهذا يجب أن نكون شديدي الحذر والحرص في ذلك، فضلاً الى أنه يجب أن نبعدهم عن التصور الخاطئ الذي يذهب الى القول (أن الله هو مصدر الشر والخير)، بل نعلمهم أن الله هو علة الخير فقط ، إما الشر فليس من الله ، إذ أن غاية ابن رشد من هذا هو **بناء** هذا الجيل (جسمياً ونفسياً وعقلياً) معتمداً على (الشجاعة والصدق والفضيلة)، وكأنه بهذا يّرد على الفلسفات التربوية في زمانه التي تذهب بالقول (الى أن الله هو مصدر كل شيء – الخير والشر) معاً، ولهذا يرى هنا أن نعلم هؤلاء الأطفال على إن مصدر الشر هو (إبليس والشيطان) فقط ، وليس الله ، فإذا عملنا ذلك معهم فأن هذا سيخلق التناغم والتناسق لديهم، علماً أن هذه القصص والحكايات تكون على **نوعين** : منها ما يختص بالأمور (النظرية) ويتمثل هذا بالأقاويل **(البرهانية والجدلية)**، وهذه خاصة بفئة الفلاسفة والحكماء ، ومنها ما يرتبط بالأمور (العملية) ويتمثل هذا بالأقاويل ذات الطابع **(الخطابي والشعري)**، هذا النوع يجب أن يُعلم لجميع الناس، لإن قدراتهم العقلية تكون بسيطة لا تقودهم الى بناء الرأي الفلسفي المُحكم، هذه الطريقة هي الملائمة للأحداث والصبيان في أول عهدهم ، وعند بلوغهم يتم فحص قدراتهم العقلية والجسمانية ومهاراتهم ليتم بعد ذلك عزل ذوي المواهب الجيدة عن الآخرين، عندها يتحول الجيدون الى طور أعلى في التعليم(٢)، إذن هذه الفئة من المجتمع بحسب رأيه هي التي سيظهر منها **(حراس الدولة وقادتها)**، ولهذا يجب أن يكون هؤلاء أقوياء وأشداء وشجعان وفضلاء غير متأثرين بأي حكايات **كاذبة** وقصص مشبوهة تشوه خلقهم، لإنهم يكونوا أقياء مع ابناء وطنهم، وبنفس الوقت يكونوا شرسين على أعدائهم الخارجين(٣)، هذا يعني تأكيد ابن رشد على تربية

(١) ينظر: أبن رشد ، تلخيص السياسة ، ص ٧٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص٨٤ – ٨٥ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ص٨٥ .

وبناء الإنسان الحارس للدولة ضروري، لإنه سيكون مدافعاً عن الحق وأهلهُ، وأن فقدانه يعني فقدان الدولة والمجتمع، علماً أنه قسم المجتمع وطرائق التربية فيه الى **ثلاث فئات رئيسة** وهم : **(الحرفيين** – الصناع المهرة، **والحراس** – المدافعون عن الدولة والجتمع، **الفلاسفة** – الحكام القادة)، ولكل فئة من هذه نظامها التربوي وطرائق في بناؤها وأعدادها، أذ نلاحظ هنا أنه **يركز** على فئة **(الحراس)**، لإن هؤلاء بما أنهم عماد الدولة فمنهم سيظهر **(القائد)**، لإنه تربى منذ نعومة أظافرة على الشجاعة والفضيلة والعدالة.

تأسيساً لما تقدم فإن ابن رشد يريد أن يبين بأن تعليم **(الموسيقى)** في هذه المرحلة مهم جداً، ولهذا أخذ يعهد بتعليمها وإعدادها الى أناس متخصصين بهذا العلم ، بحيث تكون الألحان الموسيقية مرافقة (للرياضة) الجسمية، وإن يكونا معاً دون أي أفتراق، لإن الفصل بينهما يضّر بالنفس والجسم معاً، فضلاً الى أن أستعمال الموسيقى دون الرياضة سوف يولد نفساً هشه وضعيفة ، والعكس سيولد القسوة والعنف ، وهذا سينعكس على النفس الإنسانية ويجعلها ترفض أي دليل أو أقناع، إذن هذه الألحان تأخذ بنظر الإعتبار تحريك نفوس الناس نحو الشجاعة والقدرة على مواجهة العدو والصبر في المعركة ، فضلاً عن تحريك نفوسهم نحو الفضائل أو الكمالات الإنسانية، ولتحقيق هذا أخذ يوجه الى ضرورة تناول الأطعمة والمشروبات التي تساعد على الإنتباه وسرعة الحركة **لا** على التخمة والنعاس، لإن ذلك يقلل من قدراتهم القتالية[1]، هذا يعني أن مسألة **(التوسط)** في طلب الحاجات تُعد مسألة ذات مضمون أخلاقي وتربوي ومعرفي عندهُ، لإن الإفراط بها أنما يضر بالصحة العامة للإنسان المراد بناؤه في هذه الدولة، ولهذا يوصي بأن يكون **(الإعتدال والتوسط)** هو سيد الموقف في تصرفات حراس الدولة، لإن أي أفراط أو تفريط سيقود الدولة الى بناء مؤسسات خدمية وأجتماعية هي ليست بحاجة لها، لذلك يجب العناية بهم من خلال إزالة الرغبات الشهوية منهم، والتركيز على تعليمهم العلوم العسكرية الى أن يبلغوا (سن العشرين)، وبعد ذلك يتم تعليمهم الحكمة والفلسفة حتى يبلغوا (سن الثلاثين)، لإن مداركهم العقلية وأحكامهم قبل هذا العمر تكون غير مستقرة، بعدها توكل (للمتفوق) منهم مهمة قيادة الجيش والمجتمع، وهنا يعد ابن رشد برنامجاً مميزاً لأعداد هذا الإنسان (القائد) للمجتمع الذي ظهر من فئة الحراس التي منحته التصور الكلي المجرد للإشياء سواء أكانت طبيعية أم ميتافيزيقية أو سياسية أم أخلاقية، بحيث أهلته أن يكون قائداً لهذا المجتمع ، وكونه المحرك الأول للإشياء وبقية الحركات التابعة له، علماً أنه في هذه الوظيفة يبقى حتى (سن الخمسين) من العمر، وبعدها سيتقاعد ليأتي شخص آخر بنفس مؤهلاته وأخلاقه ليتسلم زمام القيادة في

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ص٩٣ – ٩٦.

الدولة والمجتمع[١]، هذا الإنسان **(الرئيس)** بما أنه الكامل والأشرف والأصلح والذي يتميز عن غيره بالكمال النظري والإخلاقي وذو عقلية علمية وفلسفية فهو أساس وشرط في قيام الدولة المثلى[٢]، إذ يسمي هذا الإنسان (بالفيلسوف أو الملك أو الإمام) ، فأطلق عليه **(الفيلسوف)**، لإنه هو الذي يطلب معرفة الحق لذاته، وجعل العلوم النظرية غاية له ، فضلاً عن الفضائل العملية والفكرية والخلقية التي يمتاز بها، أما **(الملك)**[*] فهو الذي يشرع القوانين ويضع الدساتير ويحافظ عليها ، وبهذا يكون الملك هو الفيلسوف وهو الإمام بمعنى واحد[٣]، وهنا **سؤال آخر يطرح نفسه وهو: لماذا أصرّ ابن رشد على أن يكون (الإنسان الفيلسوف) هو الحاكم للدولة؟** للأجابة أقول، لإن الفيلسوف هو الذي يتميز عن غيره من خلال إمتلاكه العلوم النظرية والخبرات المكتسبة من التجارب الطويلة، وبهذا تصبح الفضيلة العقلية النظرية حقاً شرعياً له، إذا ما نظر الى أن (الشرع والتفلسف) يقودان الى حقيقة واحدة، هذا يعني أن خصال **(الرئيس)** التي يضعها ابن رشد **متطابقة** مع **(الرئيس الأول)** عند الفارابي ومأخوذه منه في كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة)، حتى من دون تعديل بأي صورة ، فضلاً الى أنه **يتابع** أفلاطون (٣٤٧ق.م) في ذلك عند (تلخيص الجمهورية) وتعليقة.

هذه **(الخصال)**[*]، هي التي يتمتع بها هذا الإنسان الحاكم الرئيس الفيلسوف، والتي تضم

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ص٩٨ – ١٠٠ ويراجع أيضاً كتابة : تفسير ما بعد الطبيعة، ج٢، دار المشرق ، بيروت ٢٠١١ ، ص١٦٥ ويقارن : أرسطو، الطبيعة ، ترجمة أسحاق بن حنين، حققه وقدمه عبد الرحمن بدوي ، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤، ص٤٨ .

(٢) ينظر: أبن رشد ، تلخيص السياسة ، ص١٣٩ علماً أن الفارابي قد أكد هذا قبله ، للتفصيلات يراجع : آراء أهل المدينة الفاضلة ، حققه وقدم له ألبير نصري نادر، ط١، بيروت ١٩٥٩، ص١٠٥.

(*) **الملك** : علماً أن هذه اللفظة لم تردّ عند أفلاطون في كتابه : الجمهورية، ترجمة حنا خياز، بل هي لفظة ذكرها كثيراً الفارابي في مؤلفاته ، ينظر كتابه : تحصيل السعادة ، إذ يقول " واسم الملك يدل على التسلط والاقتدار ... " ، وكذلك كتابه : آراء أهل المدينة الفاضلة ، هذا يعني أن أبن رشد **متطابق** مع (الرئيس الأول) عند الفارابي ، وأن كل الخصال التي يضعها أبن رشد له مأخوذة من الفارابي في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) حتى من دون تعديل بأي صورة ، فضلاً الى أنه **يتابع** أفلاطون في ذلك عند تلخيصة للجمهورية وتعليقه عليها.

(٣) ينظر : أبن رشد ، تلخيص السياسة ، ص١٣٧ مع حواشيها وكذلك يراجع كتابه : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، بيروت(د.ت)، ص٥٠.

(*) **الخصال** : نجد أن هذه اللفظة هي لفظة عربية وجدت في تراث الفيلسوف الفارابي، إذ يقول " القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة ... " ، ويعني هنا خصال رئيس المدينة أو الدولة الذي هو الرئيس ، أما أفلاطون فقد ذكر كلمة (صفات) الرئيس . للتفصيلات يراجع : آراء أهل المدينة الفاضلة، وكذلك كتابة : السياسة المدنية، (ب.ت)، تحقيق د. فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية ويقارن : أفلاطون ، الجمهورية .

في جوانبها (قوة العقل والنفس، وقوة الجسم)[١]، وهذا ما أشار إليها قبله كلاً من (أفلاطون والفارابي)، أما ابن رشد فهو يجمع هذه الصفات في واحد، لإن العلاقة في هذه المسألة جدلية ومترابطة عنده فيقول " يجب أن يكون الرئيس يمتلك هاتين الخصلتين : القدرة على الجهاد ، والقدرة على الإجتهاد " [٢]، هذه الصفة ، صفة الجهاد لا تتأتى إلا لمن هو صحيح البنية الجسيمة وهو المطلوب، فضلاً عن قدراته الفكرية العالية المتمثلة بالإجتهاد والحكمة العميقة، وهنا نلاحظ أن تشديد ابن رشد على ذلك أنما هو نابع مما ذكره فقهاء السياسة والدولة في التراث الإسلامي من السابقين عليه[٣] .

أما **خصال** هذا الإنسان الحاكم (الرئيس) الفيلسوف عند ابن رشد فهي عشرة :

١. أن هذه الخصلة يعدها ابن رشد أجدر الخصال، وهي أن يكون محباً بفطرته لدراسة الحكمة من أجل الوصول الى إدراك الحقيقة كاملة .
٢. أن يكون جيد الحفظ ولا يعتروهُ النسيان لما يفهمه، ولما يراه، ولما يسمعه، ولما يدركه .
٣. أن يكون محباً للعلم ولتحصيل العلوم بشتى أنواعها وفروعها .
٤. أن يكون محباً للصدق وأهلهُ، كارهاً للكذب وأهلهُ .
٥. أن يكون كارهاً للذات معرضاً عنه[٤] .
٦. أن يكون غير محب للمال، لإن المال هو غاية كل رغبة .
٧. أن يكون كبير النفس، لإن الرجل الذي يطلب معرفة كل شيء ولم يردّ من هذه المعرفة نفعاً أو عرضاً لهو كبير النفس بالطبع .
٨. أن يكون شجاعاً، لإن من كان جباناً لا يستطيع أن يكون له في الفلسفة الحقة مكان .
٩. أن ينهج بملء عزيمته نحو كل شيء خير وجميل بذاته، مثل العدل وسائر الفضائل الأخرى .
١٠. أن يكون بليغاً حسن العبارة، جيد الفطنة، قادراً على أقتناص الحدّ الأوسط بأيسر ما يمكن[٥].

---

(١) ينظر: أبن رشد ، تلخيص السياسية ، ص١٣٨ ويقارن : الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٠٥ وكذلك كتابه : السياسة المدنية ، ص٧٨.

(٢) أبن رشد : تلخيص السياسة ، ص١٧٧.

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مطبعة الجلبي، القاهرة ١٩٦٦، ص٣.

(٤) أبن رشد : تلخيص السياسية ، ص١٤٠ ويقارن : أفلاطون ، الجمهورية ، ص١٤٦ وكذلك : الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص١٢٧ – ١٢٨.

(٥) أبن رشد : تلخيص السياسة ، ص١٤٠ – ١٤١ ويقارن : أفلاطون ، الجمهورية ، ص١٤٦ وكذلك : الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص١٢٨.

إذاً هذه الخصال التي وضعها ابن رشد في **(الإنسان)** الفاضل الذي بني عليها منذ صغره على حب الفضيلة والشجاعة، وكره كل من يخالفها، علماً أن هذه الخصال قد تلونت بإنماط الجرأة وأصبحت تمثل التضحية وحب المخاطرة من أجل تثبيت دعائم الدولة وتأكيد وجودها تربية واضحة وألتزاماً أجتماعياً محموداً وتوجهاً بيئياً أستجابة لما كان يريده الواقع – رغم كونها غير موجودة في الحقيقة الواقعية، وإنما موجودة في الحقيقة المثالية في عقل وفكر الفلاسفة (أفلاطون، والفارابي، وصولاً الى ابن رشد)، إذ كان هؤلاء متفقين على أن المجتمع الفاضل والدولة الفاضلة والرئيس الفاضل، إنما هو حلم **يوتوبي** أكثر مما هو في واقع الأمر، أذّن هذا هو التصور الرشدي لبناء الإنسان تربوياً في المجتمع بكل فئاته وعناصرهُ وشرائحه ، إنما جاء بعد أن رأى ما يعيشه عصره من نماذج أخلاقية وتربوية **لم** تكن بالمستوى المطلوب الذي يبني الإنسان من خلاله بناءاً سليماً صحيحاً ، هذه النماذج ما هي إلا أنعكاس لنمط الأنظمة السياسية والاجتماعية السائدة في عصره وما قبله .

إذ أن هذه الأنظمة بحسب رأيه هي أربعة أنواع : **(النظام الارستقراطي)**، ويسميه بحكم الشرف والمجد والسمعة الحسنة ، و**(النظام الأوليغاركي)** ، ويسميه بحكم القلة – الأغنياء، و**(النظام الديمقراطي)**، ويسميه بالحكم الجماعي أو حكم الجمهور، وأخيراً **(النظام الاستبدادي)**[1]، هذه الأنظمة يعدها ابن رشد بالأنظمة الناقصة والساقطة والغير فاضلة، فهو يقف ملياً أمام النظامين الآخرين (حكم الجمهور، والحكم الإستبدادي) ليحللها تحليلاً علمياً ونقدياً وواقعياً، وكأنه قد عاش في ظل هذه الأنظمة في عصره، ووصفها بهذا الوصف الدقيق، فمثلاً نجد أن المنظور القيمي – التربوي في المدينة الجماعية (الديمقراطية) هو أن يكون فيها الفرد **(الإنسان)** حراً من أي قيد، هذا يعني أن الإنسان بإمكانه أن يفعل ما تمليه عليه رغباته، هذا الصنف من الحكم بحسب رأيه نجد فيه كل الألوان، فمثلاً نجد أناس مختلفون في الميول والرغبات، فمنهم من يرغب في الشرف والجاه، ومنهم من يرغب في إمتلاك الثروات والأموال، ومنهم من يرغب في التسلط والإستبداد، وربما نجد من بينهم من يمتلك سائر الفضائل الإنسانية، والسبب في ذلك إنما يعود الى عدم وجود برنامج أخلاقي قيمي يسود المجتمع وينميه، بحيث يقوي فيه الفضائل الإنسانية[2]، هنا يبدو أن ابن رشد **ناقداً** لهذا الشكل من الأنظمة ويعدهُ نظاماً ساقطاً **لا** فضائل فيه، هذا الحكم سرعان ما يفنى، لإنه قائم على الحرية المفرطة، وغياب العقلانية، وتكثر فيه سيادة الأهواء والرغبات دون رادع .

(١) ينظر : أبن رشد ، تلخيص السياسة ، ص١٧٤ وما بعدها .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص١٧٦ – ١٧٧.

إذ يبين ابن رشد هنا أن من بين هؤلاء تظهر فئة من الناس الأشرار، فيشبههم بذكور (النحل) في الدولة، فهؤلاء يأكلون العسل الذي تجنيه هذه الفئة الشريرة، وبسبب الضرورة يولد منها (**النظام الإستبدادي**)، وهذه توجد فيها **ثلاث فئات** من الناس، **الأولى** : يسعون بطلب اللذات، وهؤلاء هم (رؤساء الدولة) ، **والثانية** : فئة (الملاك وطلاب المال)، ومثلها مثل العسل الذي يأكلهُ بفضاعة ذكور النحل، أما **الثالثة** : وهم (الجمهور) الذين يعملون بأيديهم، وهؤلاء هم المغلوب على أمرهم، هذه الفئات بنظره تتصارع فيما بينها محدثة الفوضى في الدولة والمجتمع، مما يدعوا الناس الى طلب رجل أو رئيس يحكم بينهم، هذا الرئيس لا هم له سوى طلب اللذات، فيمجدونه ويعظمونه، ولكن سرعان ما يحول الدولة من الحرية المفرطة والرغبات المختلفة الى الإستبداد بعامة الناس، وبهذا يحولون أنفسهم الى مستبدين، ومن خلالهُ ينشأ الحكم الإستبدادي[١]، إذ يصف ابن رشد هذا الحكم عند هذا الرئيس بأخس الأنظمة أخلاقاً وتربية وقيماً، وهو بعيد كل البعد أن يكون نظاماً فاضلاً وعادلاً، لإنه يقوم على قهر الناس، على الرغم من أن أهل الدولة وسكانها يسعون لخدمة هذا المستبد لتحقيق شهواتهم وهم أشبه بالعبيد ، علماً أنه من صفات وخصال هذا المستبد برأي ابن رشد هو أن يكون دائماً (خائف جداً وجبان)، ولهذا يستعين بأعوان له لمساعدته في إستبداد الناس من خلال أغراء هؤلاء بإمتيازات خاصة كي يستبدوا بالناس جميعاً، فضلاً الى أن هذا الرئيس المستبد سرعان ما يعلن للناس أنه يريد لهم الدستور العادل، وعليهم أن يتمسكوا به ويحافظوا عليه، وهو يصنع لهم المحبة المزيفة، حتى يوزع لهم الأموال والهبات كي يحبوه ، ولكن سرعان ما ينقلب عليهم ، فيقهرهم، فضلاً الى أنه يشن حروباً ضد جيرانه مصوراً لهم ذلك أنهم أعداء خارجين، هذه الحروب بنظره تهدف الى أنتزاع ملكيات الناس وأضعافهم حتى لا ينقلبوا عليه ويخرجوه من الحكم[٢].

إذاً من كل ما تقدم نستنتج ، أن ابن رشد عندما تحدث عن هذه الأنظمة بأشكالها الفاضلة والغير فاضلة، إنما أستند بها الى تراث فلسفي سبقة فيّ ذلك، لاسيما أشارات الفلاسفة كلاً من أفلاطون من خلال كتابه (الجمهورية)، والفارابي من خلال كتابيه (آراء أهل المدينة الفاضلة، والسياسة المدنية)، ولا ننسى أن نضيف الى ذلك عصرهُ السياسي والإجتماعي الذي عاش فيه، كل هذا ضاعف من عبقريته الفلسفية الأخلاقية والتربوية المُحكمة . بقي أن نشير الى رؤيته التربوية (**للمرأة**)، وكيف تعامل معها هذا الفيلسوف الواقعي، إذ وجدنا أن طرحه يتميز

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ص١٨٨ وللتفصيلات يراجع بحثنا : ((الإستبداد السياسي دراسة فلسفية بين أبن رشد وعبد الرحمن الكواكبي)) ، مجلة الفلسفة ، العدد (٦) ، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب ، قسم الفلسفة، بغداد ٢٠١٠، ص١٤٩.

(٢) ينظر : أبن رشد ، تلخيص السياسة ، ص١٨٩.

عن الفلاسفة الآخرين من الذين سبقوه ، لما فيها من حداثة الآراء السابقة لعصره، فأخذ ينظر إليها **بمساواة** الرجل، لإنها (هي والرجل) من طبيعة إنسانية واحدة، فضلاً الى أنهما يسعيان لغاية واحدة، فيقول " أنهن متساويات مع الرجل بالنوع ومختلفات معهم بالدرجة فقط" [١]، هنا يبين ابن رشد الخصائص والطباع التي يجيب أن تكون في المرأة بعد أن أعُدت وبُنيت بناءاً مُحكماً على وفق برنامج تربوي أيضاً يبدأ من الطفولة حتى سن النضج ، لإنها تساعد الرجل في كل شيئ فيقول " يجب أن يشاركن الذكور في الحرب والقتال وما شابه ذلك، ومن الملائم لنا في أختيارهن أن تكون لهن الخصال نفسها التي للرجال (الشجاعة، العدالة، العفة، الحكمة)، ولن يتم ذلك إلا إذا تعلمن مع الرجال (الموسيقى والرياضة) ... وأنهن يجيب أن يقفن بمثل ما للرجل من درجة " [٢]، هذه النظرة الفلسفية للمرأة من قبله لم تكن قد جاءت من فراغ أو من تصورات مثالية بعيدة عن الواقع، بل هي من صلب الواقع الذي تعيشه المرأة في المجتمع، مؤكداً أن بؤس وعدم تطور المجتمع، وإنما يرجع الى أضطهاد المرأة وعزلها عن المشاركة السياسية في المجتمع، وبهذا يستحق ابن رشد أن يسمى **(نصير المرأة)** في زمانه والى يومنا هذا.

(١) المصدر نفسه ، ص١٢٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٦.

الخاتمة وأهم الإستنتاجات :

١- وجدنا أن **(الأخلاق)** عند ابن رشد ترتبط ارتباطاً وثيقاً **بـ(السياسة)**، لأن العلم السياسي العملي غايته العمل أو السلوك (الفعل) والتي تتضمن الأفعال التي يقوم بها الإنسان بالإرادة التي مبدأها الوجود الإنساني، ولهذا أعَّد الإنسان كائناً مدنياً بطبعة، هذا يعني أنه قد أعطى أهمية كبيرة **(لبناء الإنسان)** من خلال الإعتماد على الإرادة التي هي محور علمي **(الأخلاق والسياسة)**، ونتيجة لهذا أخذ منذ البداية يشدد على مسألة عمر الإنسان منذ الصغر الى الكُبر وبناءه نفسياً وعقلياً وجسدياً، لإن ذلك يوفر له السير نحو طريق السعادة، هذا من جانب ، ومن آخر أخذ يربط الأخلاق بموضوع (الخير والشر) الموجودات في الإنسان، ولهذا أراد أن يناقش في مسالة الخير والشر بموضوع (الحرية الإنسانية)، وعليه أن يحافظ على الخير وينبذ الشر، إذا عرفنا أن الإنسان يكتسب أخلاقه في زمانه ومكانه من خلال الدين والأعراف والتقاليد السائدة في مجتمعة.

٢- لاحظنا أن ابن رشد أخذ يطرح رأياً فلسفياً في أن الإنسان ليس حراً ولا مجبراً مطلقاً، لإن مسألة (القضاء والقدر) تُعد من أصعب المسائل الفلسفية بسبب التعارض القائم بين أدلة النص الديني وأدلة العقل الفلسفي، وهنا يستند ابن رشد الى النصوص الدينية، فضلاً الى نصوص فلسفية لبيان موقفة من هذه الإشكالية، علماً أن هذه النصوص قد ظهر حولها خلاف من قبل فرقاء المسلمين ، فمنهم من ذهب الى تأكيد حرية الإنسان في سلوكه (كالمعتزلة)، ومنهم من سلب الإنسان الحرية في أفعاله مثل (الجبرية)، وآخرون من توسط بين الإثنين (كالأشعرية)، على الرغم من أن ابن رشد لم يسلم بهذه الآراء والأقوال، بل ذهب الى القول بأن الله سبحانه وتعالى قد أوجد لنا قدرة بها نكتسب بها أفعالنا، لإنه يرى إن الإنسان يجب أن يعلم إن أرادته حرة، ولكن هذه الحرية مرتبطة **بأمرين وهما** : التركيب الداخلي له، والأحوال الخارجية المحيطة به، لإنه لا يمكن فهم حرية الإرادة الإنسانية إلا من خلال الأخلاق، فلا أخلاق بلا إرادة.

٣- وجدنا أيضاً أن ابن رشد كثيراً ما يستعين بالفارابي من خلال الإعتماد على مؤلفاته لاسيما (تحصيل السعادة، آراء أهل المدينة الفاضلة، السياسة المدنية، تلخيص الخطابة ...)، هذا يعني أن الفارابي كان **حاضراً** بقوة وبشكل واضح في ابن رشد.

٤- فيما يخص الجانب التربوي، وجدنا أن ابن رشد أيضاً أخذ يضع برنامجاً تربوياً خاصاً لبناء **(الإنسان)** يمارسة عليه بدءاً (بالطفل) ويستمر معه حتى بلوغة سن الرشد، غايته من ذلك هو تربية هذا الجيل حتى يكونوا بمستويات عالية لإداء وظائفهم على أكمل وجه في المجتمع، ويكون هذا بمصاحبة (الموسيقى والرياضة)، لأن من خلالهما يتم تهذيب النفس وتمكينها من أكتساب الفضائل الإنسانية، فضلاً الى أكتساب الفضيلة الصحيحة للجسم، هذا من جانب ومن آخر تكون تربية هذا الإنسان من خلال قص عليهم القصص والحكايات **الصادقة** والهادفة التي تزرع

في نفوسهم الفضيلة والشجاعة، وتبعد عنهم الخوف والحزن، علماً أن هذه القصص والحكايات يجب أن **لا** تكون كاذبة، لإنها تسبب لهم ضرراً نفسياً (كالخوف والحزن) وما الى ذلك ، لاسيما وأن هذه الحكايات ستكبر معهم، ولهذا يجب أن نكون شديدي الحذر والحرص في ذلك، ولهذا يجب أن نبعدهم عن كل تصور خاطئ كما يقول البعض (أن الله هو مصدر الشر والخير)، بل علينا أن نعلمهم أن الله هو عله الخير فقط ، أما الشر فليس من الله ، هذا التعليم التربوي يجب أن يكون معتمداً على الشجاعة والصدق والفضيلة ، وإن طبقنا ذلك فإن هذا سيخلق لهذا الطفل التناغم والتناسق في حياته، لإن عند بلوغهم سيكونون أقوياء وأشداء أفياء مع ابناء وطنهم، ويكونون مدافعين عن الحق وأهلهُ ، وينفس الوقت يكونوا شرسين على أعدائهم الخارجين.

٥- لاحظا أن ابن رشد قد أعطى للمرأة دوراً مهماً، إذ وجدناه قد تميز عن الفلاسفة الآخرين لما فيه من حداثة الآراء السابقة لعصرهُ ، ولهذا أخذ يساويها مع الرجل، لإنهما من طبيعة إنسانية واحدة، ويسعيان لغاية واحدة من خلال نصه (أنهن متساويات مع الرجل بالنوع ومختلفات معهم بالدرجة فقط)، وهذا لا يكون إلا إذا تعلمن مع الرجل (الموسيقى والرياضة)، علماً أن هذه النظرة الفلسفية للمرأة من قبله لم تأت من فراغ ، بل هي من صلب الواقع الذي تعيشه المرأة في المجتمع ، ويمكن عدهُ (**نصيراً**) لها.